

قطوف الأثر في فضل العشر

د . قذلة محمد القحطاني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد :

فكما لا يخفى عليكم أن الله تعالى فضل بعض الأيام والليالي والشهور على بعض، حسبما اقتضته حكمته البالغة؛ ليجد العباد في وجوه البر، ويكثروا فيها من الأعمال الصالحة،

قال ابن مرجب رحمه الله-

"كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر، وأقسم بالعشر، وهي عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وما في هذه المواسم الفاضلة موسم إلا والله -تعالى- فيه وظيفة من وظائف طاعته، يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَعُودُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ اغْتَنِمَ مَوَاسِمَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ، وَتَقَرَّبَ فِيهَا إِلَى مَوْلَاهُ بِمَا فِيهَا مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ؛ فَعَسَى أَنْ تَصِيبَهُ نَفْحَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّفْحَاتِ، فَيَسْعُدَ بِهَا سَعَادَةً يَأْمَنُ بِعَدَا مِنْ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحَاتِ"

"لطائف المعارف لابن مرجب رحمه الله (ص ٤٠)

ومن فضائل هذه العشر :-

أن الله أقسم بها وهذا يدل على فضلها وشرفها كما في قوله تعالى

قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ . وَكَيْلِ عَشْرِ﴾ [الفجر: ١-٢] . عن عكرمة في قول الله تعالى:

﴿وَالْفَجْرِ . وَكَيْلِ عَشْرِ﴾ قال: (الفجر) الصبح و(ليال عشر) عشر الأضحى . وعن قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ . وَكَيْلِ عَشْرِ﴾ قال: كنا نحدث أنها عشر الأضحى .

سئل مسروق عن قوله عز وجل: ﴿ وَالْفَجْرِ . وَكَيْالٍ عَشْرِ ﴾ قال: هي أفضل أيام السنة. "

قال ابن كثير في تفسيره:-

(والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف) . وقد أقسم الله بها مما يدل على كمالها انتهى

(تفسير ابن كثير) (4/535)

- ومن فضائلها إنها هي الأيام المعلومات التي أمر الله تعالى فيه بذكره:-

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا مَرَرْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

- ومن فضائل هذه العشر:-

أن فيها يوم عرفة، هذا اليوم العظيم يوم المباهاة والعتق والمغفرة، ومن فضل صيامه: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية.» « مرواه مسلم "

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ؟ »

- ومن فضائل هذه العشر أن فيها يوم النحر :-

وهو يوم عيد الأضحى وقد ورد في فضله قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه: (لِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ
عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقُرْبَى)

" صحيح أبي داود مرقم ١٧٦٥ "

- وأخرج الترمذي في سننه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما عمل آدمي من عمل
يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من
الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفساً.» (رواه ابن ماجه (٣١٢٦) والترمذي (١٤٩٣))

- وقد صحت الأحاديث في فضل العمل فيهن ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام العشر - قالوا: يا
رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم
يرجع من ذلك بشيء) (مرواه البخاري).

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
فذكرت له الأعمال فقال: ما من أيام العمل فيهن أفضل من هذه العشر - قالوا: يا رسول الله، الجهاد في
سبيل الله؟ فأكبره. فقال: ولا الجهاد إلا أن يخرج رجل بنفسه وماله في سبيل الله، ثم تكون مهجة
نفسه فيه) " مرواه أحمد وحسنه الألباني "

وغيرها من الأحاديث في بيان فضل هذه العشر

- وان للعامل فيها أفضل من المجاهد في سبيل الله الذي يرجع بنفسه وماله!!

وقوله صلى الله عليه وسلم (العمل الصالح) يشمل جميع الأعمال الصالحة بدون استثناء.

قال الإمام ابن مرجب رحمه الله :-

"وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده، وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه وإن كان مفضولاً أفضل من العمل في غيره وإن

كان فاضلاً" (لطائف المعارف: ص ٣٦٥)

- وقال ابن حجر رحمه الله :-

(والذي يظهر أن السبب في امتيانه عشر ذي الحجة لما كان اجتماع أمهات العبادات فيه، وهي الصلاة

والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره) " انتهى كلامه فتح الباري ٢/٤٦٠ "

- فعلى المسلم أن يبادر ويسارع في هذه التجارة الراجعة مع الله..

ومرد في الأثر: «إن لركم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن

تصيبه نفحة منها فلا يشقى بعدها أبدا.»

وكان السلف يعظمون هذه العشر ويظهرون فيها الذكر وتعلو أصواتهم بالتهليل والتكبير والتحميد فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) [مرواه أحمد].

- وقال البخاري رحمه الله :-

كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرها. وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. - وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً.

- وكان سعيد بن جبير رحمه الله: "إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه" (مرواه الدارمي بإسناد حسن). وروى عنه أنه قال: "لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر" كناية عن القراءة والقيام .

- وكان السلف الصالح يتحرون البذل في هذه العشر (فكان حكيم بن حزام يقف بعرفة ومعه مئة بدنة مقلدة ومئة رقبة فيعتق مرقيقه فيضح الناس بالبكاء والدعاء يقولون: ربنا هذا عبدك قد أعتق عبده ونحن عبيدك فأعتقنا)

قال الإمام ابن مرجب رحمه الله:

"لما كان الله سبحانه قد وضع في نفوس عباده المؤمنين حيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين." (لطائف المعارف ص ٢٩٥)

- وهذه أبواب الخيرات والمغفرة اقبلت فانهلوا وشمروا إليها عباد الله..

من الذكر والدعاء، وتحقيق التوحيد والإخلاص والخوف والرجاء والمحبة والإيابة، وإقامة الصلاة، والصيام وتلاوة القرآن، والإكثار من نوافل العبادات والحج والعمرة، والأضحية، وبر الوالدين وصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والبر والإحسان وطلب العلم ونشره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإمالة الأذى، وإكرام الضيف، والنفقة على الأهل، وقضاء الحوائج، وإغاثة الملهوف، وأداء الأمانات وغض البصر، وحفظ اللسان والجوارح.

وإسباغ الوضوء، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتوبة، والاستغفار وغيرها من شعب الإيمان..

جعلني الله وإياكم من اسبق السابقين إليه وممن يعظم شعائره، ووقفنا جميعاً لما يحبه ويرضاه من
الأقوال والأفعال . والحمد لله رب العالمين.

جمع الفقيرة إلى عفو ربها القدير /

قذلة القحطاني

يوم الجمعة اذي الحجة ١٤٤٠